

الأحزاب الرئيسية في بريطانيا بلا قيادة فعالة

(مترجم)

الخبر:

تستمر الكارثة اليومية لسياسة بريطانيا. صوّت البرلمان بالأمس ضد اتفاق رئيسة الوزراء تيريزا ماي مع الاتحاد الأوروبي، والذي وصفه كبار المشرعين بأنه لا قيمة له، وفي مساء يوم الأربعاء 13 آذار/مارس، صوت البرلمان ضد خروج بريطانيا بدون صفقة من الاتحاد الأوروبي. والجميع يسأل: إلى أين تتجه بريطانيا من كل هذا؟

التعليق:

في الواقع، لقد طرح الجميع هذا السؤال منذ ليلة الاستفتاء منذ عامين. كانت النتيجة قريبة وكانت البلاد منقسمة بشدة، لكن الغالبية صوتت لصالح مغادرة الاتحاد الأوروبي. كانت السياسة البريطانية في دوامة هبوطية واضحة منذ ذلك الحين. كان الاستفتاء آنذاك فكرة رئيس الوزراء ديفيد كاميرون، لكنه استقال عندما جاءت النتيجة. لم يتوقع أبداً أن تكون النتيجة هي المغادرة، ويُزعم أنه لم يكن يتوقع حتى إجراء الاستفتاء الذي قام بحملته. وقال دونالد تاسك، رئيس المجلس الأوروبي، إنه سأل كاميرون: "لماذا قررت هذا الاستفتاء؟ إنه أمر خطير للغاية، إنه غبي"، وقال "إن كاميرون كان يشعر بالأمان حقاً، لأنه اعتقد في ذلك الوقت أنه لا يوجد خطر من إجراء استفتاء لأن شريكه في الائتلاف، الليبراليين، سيمنعون فكرة الاستفتاء هذه. ولكن بعد ذلك، من المستغرب فوزه، ولم يكن هناك شريك في الائتلاف. ومن المثير للسخرية، أن ديفيد كاميرون أصبح الضحية الحقيقية لفوزه". كان تاسك يشير إلى انتخابات عام 2015 حيث ذهب الليبراليون من 57 مقعداً في البرلمان إلى 8 مقاعد فقط، وبأغلبية محافظة مفاجئة، أُجبر على إجراء الاستفتاء الموعود الذي كان المقصود به فقط كوعد شعبي للحصول على المزيد من المقاعد في البرلمان وتأمين علاقات جيدة مع الاتحاد الأوروبي.

الديمقراطية تحت رحمة الشعبوية، حيث تترك السياسة لإرادة الجماهير. يلعب السياسيون لعبة خفية ولكنها خطيرة تتمثل في التغلب على أكثر الغرائز وحشية للناخبين، ويحاولون التنبؤ وتوجيه الاتجاهات لصالحهم فقط، لترك الناخبين يشعرون بالخيانة في وقت لاحق. جلبت الشعبوية أزمة خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي وأدت إلى وضع ترامب في منصبه في أمريكا على منصة حماية أمريكا البيضاء من المهاجرين الأجانب والواردات الأجنبية، كما أن كراهية الأجانب آخذة في الارتفاع في أوروبا.

أدت المناورات السياسية الشعبوية للحصول على أصوات إلى استفتاء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي والنتيجة كانت عامين من الشلل، والأغلبية التي صوتت لترك الاتحاد الأوروبي تخشى أن يستمر الجمود بين حكومة ماي والبرلمان إلى أجل غير مسمى مع عدم مغادرة بريطانيا فعلياً أبداً، بينما أولئك الذين صوتوا للبقاء يخشون أن بريطانيا سوف تغادر فجأة مع أسوأ الشروط الممكنة.

حزب المحافظين منقسم، وهو ما يعكس الانقسامات في جميع أنحاء البلاد، في حين إن حزب العمال متحد فقط في معارضته للمحافظين ولا يقدم أي قيادة حاسمة لأن ذلك من شأنه أن يكشف الانقسامات الخاصة به. لم تشعر بريطانيا من قبل بأي شكل من أشكال عدم القيادة. وبقدر ما تعتبر رئيسة الوزراء الحالية هدفاً للسخرية، فلا يوجد أي سياسي يطمح في أن يحل محلها ويعرض نفسه لموجات الغضب التي تنهار من جانبي الانقسام البريطاني. كتبت واشنطن بوست إن "خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي قد دمّر سمعة بريطانيا الدولية واحترامها لديمقراطيتها"، لكن الاضطرابات التي شهدتها بريطانيا هي ظاهرة الديمقراطية بشكل عام التي تدير شؤون الدولة تحت عبودية استطلاعات الرأي والدوائر الانتخابية. يقدم الكونغرس الأمريكي العديد من الأمثلة على تصويت أعضاء الكونغرس ضد زعماء أحزابهم، كما فعل أعضاء البرلمان البريطاني، لتجنب خطر فقدان مقاعدهم في الانتخابات المقبلة.

كتبه لإذاعة المكتب الإعلامي المركزي لحزب التحرير

د. عبد الله روبيين